# تجربة وليم جيمس الدينية

د. هبة عادل العزاوي

**المقدمة:** الدين هو جمع أديان، وهو إسم لجميع ما يُعبد به الله من ملة ومذهب وحال. وهو الطاعة و الورع والجزاء و الحكم والتدبير، يقال (قومٌ دِينُ) أي دائنون بمعنى خاضعين[1]. وكل هذه المعاني تشير إلى إن هذا المعنى يجمع بين الوسيلة (الطاعة والورع والخضوع) والغاية التي توصل إليها هذه الوسيلة (الجزاءان بالثواب أو العقاب). وقد اختلف بنو البشر- عبر التاريخ - في موقفهم من الدين، وفي فهمهم لحقيقته. وتبع ذلك الأختلاف، إختلاف الزمن والحضارة وشخصية الأنسان ذاته. كما إختلف البشر في كيفية التعامل معه (الوسيلة والتي هي الطاعة والورع والخضوع). فالأنسان البدائي الأول كانت عنده فكرة اله، لكنه فهمها وتعامل معها من خلال الخيال والأسطورة ولجأ إلى طقوس غريبة مختلفة - لم تكن في نظره كذلك - ذلك إن الأديان السماوية والوضعية لم تكن معروفة بعد. وهذا ما جعل البعض يعتقد في إن فكرة الدين الاولى ظهرت نتيجة خوف الأنسان الأول من قوىً لم تكن معروفة له، فسرها إنسان اليوم على إنها القوى الطبيعية، التي بدل أن يسيطر عليها سيطرت هي عليه. ثم جاءت الديانات وأكدت هذه الفكرة. فتعامل الإنسان المتدين مع الدين من خلال الطقوس والتعاليم التي جاءت بها هذه الأديان. ثم جاء عصر العلم والثورة الصناعية، فأكد البعض إن العلم حل محل الدين. لكن هل استطاع العلم ذلك فعلاً؟ وهل أنمحى أثر الدين حتى في أكثر الدول تحضراً؟ هيهات فقد اندثرت مدن وحضاراتٌ وكائناتٌ كانت موجودةً فعلاً ومحسوسةً، واندثرت أفكار ونظريات وفرضيات علميه وغير

علميه و حلت محلها أخرى. ولم تنمح فكرة الدين والقول بوجود اله مع كل ما مرَّ عليها. فمجرد التعامل معها هو تأكيد
حضورهما وترسيخ لوجودهما. وبحثنا هذا هو بصدد عرض التجربة الدينية لفيلسوف أميركي معاصر، وهو في الوقت ذاته عالم نفس وأخصائي في الطب وهو تأكيد على ما قلناه عن فطرية فكرة الدين عند الإنسان وأصالتها ذلك الذي يؤكد بالتالي أصلها المُتعالي.وفيلسوفنا هو واحد من بين الكثير من فلاسفه وعلماء، ذوي باع في الفلسفه والعلم، ومنهاجهما وادلتهما الفلسفيه والعلمية. ومع ذلك لم يستطيع كل ذلك ان يمحي فكرة الدين عندهم بل إنبروا للرد على اصحابها بالسلاح ذاته.
فإذا قيل ان فكرة الله تتناقض وما يوصلنا اليه العقل. ردَّ عليه الفيلسوف (كارليل) – ينتمي للعصر الحديث – ((ان محاولة البرهنه بالعقل على وجود الله بمثابة محاولة إضاءة الشمس بمصباح))[2] ورد عليه فيلسوف اخر وهو (كالفن) – والذي ينتمي الى العصر ذاتهِ – ((الماهيه الالهيه سر متعال يظل الى الابد محتجباً عنا ذلك ان طبيعة الله لامتناهيه وطبيعتنا متناهيه وما من عقل نظري يستطيع ان يقتحم قلعة الذات الالهيه))[3].
واذا قيل ان العلم لم يدلنا على وجود دين، ردَّ عليه فيلسوف من العصر الحديث ايضاً (منسل) ((العلم ما دام نسبياً فهو لايملك الاعتراض على الوحي))[4]. وهذا الجواب ذاته يمكن ان نردَ به على من يقول ان التجربه لاتدلنا على وجود الله.
ورداً على ذلك القول ذاته أجاب فيلسوفنا (وليم جيمس)، بأن عالم التجربه لايمكن ان يكون برهاناً على الدين لانه جزءً من كل هو عالم آخر توجد فيه حلول لطلاسم هذا العالم الطبيعي او عالم التجربه. والجزء لايمكن ان يبرهن من خلاله عن كُل.
يقول جيمس ((دلت كلمة الدين في تاريخ الفكر الإنساني على كثير من المعاني، ولكني حين استعملها الآن أقصد بها ما هو فوق الطبيعة، مُقرراً بذلك إن ما يدعى بنظام الطبيعة الذي يتضمن عالم التجربة ليس إلا جزءاً من مجموعة الكون وان هنالك وراء هذا العالم المُشاهد عالماً آخر غير مشاهد لا يعرف الآن عنه شيئاً ايجابياً ولكننا ندرك انه ليس لحياتنا هذه من قيمه إلا في علاقتها وارتباطها به))[5].

وقول جيمس هذا يذكرنا بحوارٍ دار بين فلكي وجراح متدين، فقال الاول للثاني لقد طفت كثيراً في المكان ولم أجد لا الله ولا الملائكه، فأجابه الجراح، كثيراً ما قمت بعمليات في الدماغ فلم اجد افكاراً.
فمثلما لا نرى الافكار لكننا اكيدون من وجودها، كذلك الغيبيات الآخرى كالله والروح والعالم الآخر.
وفي بحثنا الآتي سوف نعرف اكثر عن هذه الفكره وغيرها من افكار فيلسوفنا (وليم جيمس) الدينيه ثم نعقبها بنقد وتقييم. والله ولي التوفيق.

**وليم جيمس والمدرسة البراجماتيه:-**
كان وليم جيمس الفيلسوف الامريكي المعاصر (1842 – 1910) ينتمي الى منطقة (نيوانجلند) الاميركيه وكان بروتستانتياً مُتمسكاً بعقيدته.
شخصيته كانت (خارقه للعاده، فهو عالم فسيولوجيا وعالم نفس ذائع الصيت وعلى إلمام واسع بفلسفة الفن وكان شخصاً شديد التدين وكاتباً لامعاً وهو بذلك قد أثر في الفلسفه المعاصره كلها تأثيراً كبيراً)[6].
وكان البعض يرى انه كان لتدينه المبكر أثر في (تفكيره رغم كونه مفكراً حراً ينظر بعين الشك الى كافة ضروب اللاهوت المتزمت)[7].
أما فلسفته، فكان يطلق عليها هو نفسه اسم (الفلسفة التجريبية المتطرفة) فهو يعد ((كل ما تقوم عليه التجربة فهو حقيقي واقعي وكل ما هو حقيقي واقعي تقوم عليه التجربة))[8] فكان لايأخذ بفكرة المبدأ الواحد الميتافيزيقي بل يؤمن بالكثرة والتعدد ومناهضة النزعات المثالية التي إنقطعت صلتها بالواقع.
وتتبين تجريبيته المتطرفة أكثر في إيمانه بأن المحسوسات لاناخذها من الخارج ونربطها في الذهن بل يرى اننا ناخذها من الخارج ونأخذ الروابط التي تربطها من الخارج أيضاً.
لكن البعض كان يرى انه في التجريبية الجذرية كان ميالاً الى الفلسفة التجريبية اكثر من العقلانية ((إما في نظريته الدينية، نرى العكس فهو ميال الى العقلانية اكثر من التجريبية، على الرغم من انه لايريد ان يخرج من دائرته التجريبية، فهو يذهب الى كل ما يرضي العقل إرضاء كاملاً من النظريات- بقطع النظر عن كونه خطأ في نفسه أو صواباً - لابد أن يخضع للشروط التي يفرضها العقل))[9].

لكننا نرى انه في نظريته او تجربته الدينيه لم ياخذ لا بالتجريبيه ولا بالعقلانيه. بل انه اخذ بطريق اخر يختلف مع كلتيهما وهو اشبه بطريق المتصوفه او هو ذات الطريق ويؤيد صحة رأينا هذا هو ان جيمس كان (شغوفاً في معرفة اسرار التصوف ولا سيما التصوف الشرقي، فقد كان متأثراً بالفيلسوف فيفيكاندا)[10] *.

لكن إذا كانت لشخصية وليم جيمس والتي كونتها تربيته وفلسفته والطرق التي ارتادهما - على ما رأينا – أثرهما في تجربته الدينيه التي نحاول التمهيد لعرضها. فما هو أثر المدرسه، التي اشتهر بالانتماء اليها، في هذه التجربه؟.

من المعروف ان المدرسه البرجماتيه الامريكيه المنشأ ** – التي تسمى بالمدرسه العمليه – كانت تطويراً للاتجاه التجريبي في الفلسفه وامتداداً للمدرسه النفعيه الفلسفيه.

رهنت ما هو حقيقي بما هو مفيد. وانصرفت عن التفكير بالاوليات الى الغايات.

يقول جيمس (إن التزامنا بالتفتيش عن الحقيقه هو جزء من التزامنا العام للعمل على ما يعود علينا بالربح. إن الإرباح التي تعود بها الافكار الحقيقيه هي الاسباب الوحيده التي تجعل من واجبنا متابعتها)[11] لذلك قيل ان مدرسه عمليه كهذه، من الطبيعي ان يكون مجالها هو الحياه الانسانيه والابتعاد عن مجال الميتافيزيقيا* التي تعتمد على افكار مجرده ليس لها ما يطابقها في دنيا الواقع[12].

لكن الواقع ان هذه المدرسه لا تقطع بشيء أبداً لا في الحياه الانسانيه ولا في مجال الميتافيزيقا.

فما من معرفه خالصه او صدق او حقيقه تامه عندها. فالبراجماتي يرى (اننا نخدع انفسنا اذا تصورنا ان النظريات يمكن ان تمنحنا تفسيراً او تفهماً لما يحدث فعلاً في العالم)[13] اي معنى ذلك ان هذه المدرسه تترك الامور لتقييم الشخص الذاتي.

ولذلك السبب بالذات قيل ان البراجماتيه في جوهرها فلسفه انسانيه، ترى ان الانسان هو الخالق لمثله في ميادين نشاطه. ولذلك السبب ايضاً قيل ان العقليه البراجماتيه هي عقليه معتدله

( هي عقليه التوسط بين جفاف المادي الطبيعي وبين سمو المثالي، فهي في الواقع وسط بين الطبيعيه والمثاليه فلا تنكر المثل والقيم بل تعدهما من صنع الانسان، وبذلك تعترف بعالم المثل من ناحيه وبالإنسان من ناحية أخرى. تعترف بالتجديد المثالي من ناحيه وبالطريقه التجريبيه من ناحيه اخرى)[14].
ان افكار المدرسه البراجماتيه تلك كان لها صدى واضح على تجربة وليم جيمس الدينيه.
فقد عززت ثقته بانه من حق الانسان ان يصنع مثله الذاتيه لذاته ان شعر انها تشبهه وتلائمه، وان ليس من الضروري ان يقتنع او يلتزم بها الاخر.

وقد وجهت انتقادات واسعه لوليم جيمس، لانه استخدم افكار المدرسه البراجماتيه للدفاع عن الايمان[15]. وطبق فكرة الذرائع على العقيده الدينيه فاذا كانت الفكره وسيله والنتيجه او العمل غايه فان الغايه تبرر الوسيله طبق جيمس ذلك على الدين، العقيده تبرهن على نفسها، يعني انها تؤدي قطعاً الى عمل يحقق ما يعتقد المرء فيه.
اي انه جعل النتائج الخاصه لفكره من الافكار هي مقياس صدقها بدلاً من نتائجها العامه، وبفعله هذا وسع من مجال تطبيق نظرية (بيرس) بحيث شمل كل الافكار، وبخاصه الاعتقادات الدينيه.
ومن هنا صار لديه نظريته الخاصه (نظرية حق الانسان في ان يؤمن).
وقد طالب جيمس، بحق الانسان في إختيار اعتقاداته ليس فقط حين توجد الادله او البراهين القاطعه، بل كذلك حين لا توجد.
يقول علينا إن نبدأ الفعل تبعاً لاعتقاد لكي نكتشف البراهين التي ستكون المبرر العقلي لهذا الاعتقاد[16]. ولاجل ذلك السبب ولغيره من الاسباب قيل انه حقاً ان (بيرس) هو من حمل لواء الفلسفه البراجماتيه، ونادى بها إلا إنها لم تتكامل إلا على يد وليم جيمس.

**الدين ضرورة إنسانية:-**

قبل أن نتحدث عن تجربة وليم جيمس الدينية، لابد لنا أن نبين الغاية التي دفعت بجيمس للخوض في المجال الديني- مع إنه عالِمٌ ينتمي الى فئة العلماء

المعاصرين- خاصةً ونحن نبحث في آراء فرد ينتمي الى مدرسه جُل همها هو البحث عن الغايات.

الحق انه لم يكن لجيمس إلاغاية واحدة هي أن يحقق للأنسان إنسانيته. كيف؟ وذلك من خلال اكمالها وملئها.

لأنه آمن بأن حياة الأنسان دون دين لايمكن لها أن تكون حياةً كاملة فالدين حاجة نفسية فطرية. وعليه لايكون للحياة قيمة دون إشباع هذه الحاجة، وإلا فإن مصيرها الخواء.

يقول جيمس، إن عالمنا المادي هذا هو عالم ناقص ولنا تكملته بنظام آخر روحي خفي ((مادام إفتراضه يحبب إلينا هذه الحياة ويجعلها تبدو مُستحقة لأن يظل المرء منغمساً فيها))[17] ويرى ان ما يجعل البعض مُتمسكاً بهذا العالم المادي الناقص هو انهم مقيدون بحواسهم ومحدودون بتجاربهم الطبيعية، وهذا يجعلهم لايستجيبون لنداء عواطفهم وبالتالي يولد عندهم التشاؤم.

إذن تشاؤم الأنسان عنده ينشأ نتيجة((التناقض الذي يوجد بين تلك النفس الكلية المحيطة بنا والمتحكمة فينا، والتي يجب أن يكون بيننا وبينها بعض الاتصال وبين صفات تلك النفس وأعراضها كما تظهرها الحوادث الطبيعية))[18].

ان لهذا التشاؤم الناشئ من ذلك التناقض خطورة كبيرة، فإذا ما شعر الأنسان بتسلطه على حياته، فإنه لامحال سيعمد الى التخلص من هذه الحياة بالانتحار.

لانه سيتأكد من ان لا قيمه لها ليرغب بالبقاء فيها . وهذا هو ما حصل فعلاً في معظم الدول التي لادين لها وبخاصه ما يحصل في الدول الغربيه اليوم، والتي غرقت في الماديه وتجاهلت الروحانيه، بحيث باتت نسبة الانتحار فيها قويه.

يقول (هنالك انتحارات وانتحارات لا تقل في الولايات المتحده عن ثلاث آلاف حاله كل عام)[19].

ويصف جيمس ذلك النوع من التشاؤم على انه (مرض ديني) يقول (التشاؤم في جوهره، مرض ديني، ولا ينشأ في كيفيته التي انتم عرضه لها، الا عن مشكله دينيه لم تجد لها جواباً دينياً معقولاً)[20] إننا إذ ناخذ بكلام جيمس هذا،

فإننا لاناخذه إلا على انه كلام لم يصدر من اي إنسان اعتيادي، بل من عالم نفساني له خبره وباع في اغوار النفس الانسانيه.
ولما كان لابد لاي طبيب – بعد ان يشخص حالةً ما – ان يصف علاجاً لها.
فأن فيلسوفنا لم يبخل علينا بمثل ذلك العلاج حيث بين لنا، انه لما كان الدين حاجه نفسيه – مثلما كان العلم كذلك – فإننا لايمكننا تجاهل هذه الحاله، بل ولا حتى التزام الحياد تجاهها.
فمثلما كانت لنا ميول نفسيه تجاه العلم، فذهبنا لنبرهن على وجوده في ثنايا العالم الطبيعي.
كان لابد لنا ان نشبع الحاجه النفسيه الى الدين.
فالجهود التي قام بها العلماء، بينت على ان حاجاتهم كانت صحيحه فلماذا لاتكون الحاجات الدينيه صحيحه ايضاً؟ انه لايحق للعلم ان يدعي ان حاجاتنا الدينيه كاذبه لانه لا يتحدث الا عن الموجود بالفعل. كما انه ليس له شأن بغيره[21].

اما قول البعض بانه ليس لك ان تعتقد من دون ادله وبراهين، فهو برأي فيلسوفنا ((تعبيراً (لكل امرء الحق في ان يعبره) عن اتجاه خاص ورغبه شخصيه في ادلة من نوع خاص))[22]
وقد بينا – في مقدمة بحثنا – الرد على من يطالب الدين بنوع معين من الادله، واشرنا الى انه العباره القاتله (لايمكن تفسيره علمياً) صارت اليوم (غير ذات معنى، ان القول بقوه خفيفه وواقعه معجزه بفرض وجودهما، ليس شيئاً آخر إلا ظاهره لم ننجح في تفسيرها بمعونة ما نعرفه من قوانيين، فاذا ثبت استحالة هذا التفسير، فليس على العلم ضير في البحث عن قوانيين آخرى)[23]. هكذا بين لنا فيلسوفنا ان الدين حاجه نفسيه لا تقل اهميه عن الحاجه النفسيه الى العلم.
وعلى ذلك أكد ان لاشباع هذه الحاجه وبالتالي علاج التشاؤم الانساني لايمكن ان يتم إلا بواحد من طريقين:- (فاما ان تزول الرغبه في شرح الحقائق الواقعيه شرحاً دينياً، وتبقى تلك الحقائق بنفسها، واما ان تكتشف حقائق آخرى مُكمله تسمح للحقائق الاولى ان تفهم فهماً دينياً أو يعتقد في حقائق من هذا النوع)[24]. والحق ان الظاهر من كتابات جيمس انه يفضل – لعلاج التشاؤم – الاخذ بالطريقين.

فهو يعتقد ان تفاؤل المؤمن يتجلى عندما نترك العالم ((يتحرك ويتذبذب ويتراوح بطريقتهِ الخاصه، شاعرين بان مقاديره وقضاياه في ايد أحسن من أيدينا ولاشان لنا بها))[25].
إضافةً الى انه يعتقد بان الباعث على التفاؤل هو الثقة الدينية التي تتجه بالفرد نحو عالم آخر اكثر جمالاً وحسناً من هذا العالم[26].
ان آراء فيلسوفنا- آنفة الذكر- قوبلت بانتقادات منها انه اذا ما سألنا جيمس لماذا يؤمن بوجود الله نجد انه لايستطيع ان يعلل ذلك بأدلة عقلية أو ببراهين تجريبية بل كل ما يستطيع قوله رداً على سؤالنا، قوله انه لابد أن يوجد لأنني في حاجة ماسة اليه[27].

والحق اننا وجيمس أجبنا على من يطالب المؤمن بأدله عقليه او تجريبية ولانرى حاجةً للاسهاب في ذلك.
إنتقاد آخر وجه الى رأي جيمس الآنف ذكره يؤكد صاحبه (كليفورد)* ((ان الأعتقاد يتدنس اذا كانت مسائله غير مبحوثة وكانت، غير مبرهن فيها، وكان لايهدف إلا نحو تهدئة نفس المعتقد وادخال السرور عليه))[28].
والحق اننا كمسلمين نشارك (كليفورد) رأيه، في ان الأيمان لابد ان يُدعم بأدله.
فكتابنا الكريم أمرنا بالنظر والتفكير والتدبر.
لكننا نسأله، ونسأل أنفسنا ياتُرى اي نوع من الأدلة والبحوث يتطلبه إيماننا؟ لماذا لاتكون ادلتنا الخاصة واشباع حاجاتنا الذاتية هي خير دليل، وبعبارة أخرى لماذا لاتكون تجربتنا الذاتية التي دلنا عليها جيمس، والتي هي موجودة لدى كل فرد مؤمن- وان لم ينتبه لذلك- وهي مصدر هدوئه وسلامته وطمأنينته، دليلنا الاكمل والامثل؟!.
وحتى تكتمل انسانية الأنسان، وهي الغاية التي من اجلها بحث جيمس في الدين وجّه فيلسوفنا انتباهنا الى اهمية اخرى للدين- إضافةً الى اهميتة كحاجه نفسيه – وهي اهميه علميه تتجلى في تنظيم الحياه الخلقيه، يقول انه (في عالم إنساني محض لا إعتبار للآله فيه، لا يكون له من الاثر ما ينبغي ان يكون له، فما الحياه حتى في عالم مثل هذا إلا نوع من الايقاع الموسيقي الخلقي، ولكنه بدئ به على مجال ضيق من نغمتين إثنتين وبذلك لا يمكن

الوصول الى معيار القيم اللا محدود)[29] اي انه يرى ان من الممكن وجود قيم أخلاقيه في عالم انساني، لكنها
ستظل ناقصه ومحدوده.
اما ان آمنا بوجود إله، فانه سيكون لا نهايه لها. عندها ستكون اكثر إلزاماً.
يقول (كل نوع من الطاقه والتحمل، ومن الشجاعه والقدره على التغلب على الشرور، فهو غير محدود عند هؤلاء الذين لهم عقائد دينيه)[30] وهو كان يعتقد ان العالم المثالي الذي طالما بحث عنه فلاسفه الاخلاق، لا يمكن ان يوجد إلا حيث يوجد الايمان بالله.
يقول (لذلك ينبغي لنا – كفلاسفه – ومن أجل تحقيق غايتنا من ايجاد نظام اخلاقي واحد، ان نفترض وجود الاله. وان نتمنى إنتصار الدين على اللادينيه)[31]. بتلك الاقوال يكون جيمس قد ردَّ على بعض الملاحده الذين إفتخروا باكتشاف اقوام، لم تعرف ديناً، لكنها كانت تتمتع بقيم أخلاقيه معينه.

**تجربة وليم جيمس الدينيه:-**

ان أُجرب شيء، يعني ان أختبره وأنظر مدى صلاحيته وفائدته واهميته لي.
يعني ذلك ان جيمس عندما تحدث عن تجربته الدينيه، فهو لا محال خبرهما، وساعدته في شيء، فاراد للآخر ان يستفيد بها.
وبالفعل فقد إنتابتهُ وهو في التاسعه والعشرين، ازمه حاده من (النورستانيا)، فشفى منها بمساعدة تجربته الدينيه، عندما قَبِلَ فكرتي العون الالهي والحريه الكفيله بتغيير مصير الانسان[32]. وإضافةً للشفاء النفسي، كان لتجربة جيمس الدينيه اهميه آخرى لاتقل عن الاولى، وهي انه آراد هدم الحواجز بين الاديان والاتجاه مباشرةَ الى صميم التجربه الدينيه في عمقها وصفائها (وقد كان له في هذا المضمار أثر بالغ في مجتمع مزقته الكراهيه واوغر صدور أبنائه بالحقد تعدد الاديان واختلاف المذاهب.
وحسب (جيمس) انه كان داعيه الى التعاون المتبادل، وكان رسولاً الى المحبه الخالصه والتعاطف بين الناس.
وكان منادياً بالإخاء والتوادد رغم اختلاف الاديان وتباين العقائد)[33].
لذلك وصف جيمس تجربته الدينيه بانها جماعيه واخلاقيه، وقد استطاع من خلالها، نفي تهمة الإلحاد، التي اشتهرت بها المدرسه التي ينتمي اليها (المدرسه البراجماتيه) يقول (ربما أقلعت عن اتهام براغماتيتي بتهمه كونها

نظاماً الحادياً. ان نوع الدين الجماعي والاخلاقي الذي عرضته، هو تركيب ديني لا يقل نفعاً عما كان من المُحتمل ان تجده نفسك)[34].

هذه هي اهميه تجربة جيمس الدينيه، لكن ما هي هذه التجربه؟ يحدثنا فيلسوفنا عن تجربته بالقول إنها مشاركتنا الا شعوريه بموجود اعظم منا والدخول بالفعل في عالم تتصل فيه الارواح وتتفاعل، هذه المشاركه تفعل فعلها الايجابي في النفس.

بذلك تكون للتجربه الدينيه خاصيتان، احداهما قلق من الألم او الشر والآخرى شعور بالنجاة من الالم او الشر[35].

اما كيفية هذه المشاركه فان جيمس يرى انه فقط صاحبها يستطيع وصفها.

يقول (فاذا استطعنا ان ندل بالفاظ على المعنى قلنا انه انفعال بانسجام باطن وكامل، انفعال بالسلام والسرور، انه ليس انفعالاً سلبياً يخلو من الحياه بل شعوراً بمشاركه في قوه اعظم منا ورغبه في التعاون مع هذه القوه في اعمال المحبه والتوافق والسلام)[36].

كل ذلك يعني ان ما يكون صميم الدين في نظر فيلسوفنا، هو العاطفه الدينيه، وان العبر ليست بالطقوس والفرائض بل بالديانه الشخصيه الباطنه[37].

من هنا نجد ان هذه التجربة الدينية تقوم على ثلاثة عقائد.

اولها:- عقيده ان العالم المنظور جزء من عالم غير منظور يمده بكل قيمته.

وثانيها:- ان غاية الأنسان الأتحاد بهذا العالم غير المنظور.

وثالثها:- ان الصلاة – أي المشاركة مع الالوهية – فعل له أثره بالضرورة[38]. والحق ان كل ماذكر عن هذه التجربة انما يذكرنا بتجربة المتصوفة الذين لايعتمدون العقل ولاالحواس للوصول الى مشاركة الاله، مشاركة شبيهة بالمشاركة التي حدثنا عنها جيمس، بل يعتمدون على حاسة خاصة آمنوا بها ذاتياً.

والحق ان فيلسوفنا شارك المتصوفة أعتقادهم بوجود مثل هذه الحاسة بقوله (هذا كله يدفعنا الى تسليم بوجود حاسة اخرى في الأنسان يبصر بها الحقيقة خلاف حواسه العادية)[39].

مهمة تلك الحاسه, الكشف عن مضمون المنطقه اللاشعوريه التي تكمن في اعمق اعماق ذواتنا – مما يمتنع على العقل والاراده – مما يرفع الناس الى درجه روحيه ساميه[40].

لكن ايمكن ان تكون تجربة جيمس الدينيه حاله مرضيه عباره عن إضطراب عصبي؟ أو ليس الافضل الا نبالي وبذلك نتمكن من علاج متاعب الحياه والامها؟ كلا، ففي نفوسنا جميعاً شيءٌ (يخبرنا بان هناك نفساً كليه ندين لها بالطاعه و الاخلاص، ولا بد ان نكون بالنسبه لها جادين)[41].

ثم يتسائل فيلسوفنا مع نفسه مرةً ثانيه بالقول، اذا كانت التجربه الدينيه، هي تجربه فردانيه – على مارأينا – فالا يكون من الممكن الشك فيها.

لانها عندئذٍ تكون غير قابله للتحقق بملاحظه نزيهه[42]؟ .

في الحقيقه ان جيمس هنا يحاول الا يخرج عن مبادئ المدرسه البراجماتيه التي ينتمي اليها.

ذلك ان تلك المدرسه تقرر، بان مقياس الحق هو التجربه النافعه لإكبرعدد ممكن من الناس, بشرط ان يكون هذا النفع مستمراً اطول مده ممكنه.

فان كان النفع مقصوراً على فرد واحد او عدد قليل من الافراد لم تكن التجربه حقاً[43]- وإجابةً على سؤاله، يقول انه يمكن الخروج من الشك, اذا استطعنا ربط التجربه الدينيه ليس فقط بالتجربه النفسيه بل ايضاً بالتجربه الفيزيقيه المحسوسه من الجميع مثل، التعاطف عن بعد، حضور الارواح والرؤيا وقت الوفاة[44] الخ...

والحق اننا نرى، ان تجربة جيمس الدينية مع انها فردانية، الا ان ملامحها وآثارها تحدث عنها كثرة من الناس وبخاصة جماعة المتصوفة، وهذه اجابةً ثانية يمكن ان نضيفها على سؤاله. فربما تكون الحقيقة التي تتكشف لصاحب التجربة مغايرة لأخرى تتكشف لآخر، وربما تكون هنالك تفاصيل أخرى نسبية تختلف من واحد لآخر.

لكن تبقى التجربة بأطارها العام، عامل مشترك لعدد لابأس به من الناس.

ونحن نستبعد هنا، أن يكون جيمس قد عنى بأن التجربة الدينية هي فردانية – أي الفردية بمعنى الفردية. بل نعتقد – في وجهة نظر خاصة – بأن التجربة الفردانية هنا، فردية بالأثر الخاص الذي تتركه في نفس كل مجرب لها لافي أثرها العام.

فأثرها العام - مثالاً – هو انها تشعر مجربها بالسلام.
أما كيفية ذلك السلام، فهو أثرها الخاص مثل الاشخاص الذين يتناولون من طبق حلوى واحد، فالمذاق العام يكون الحلاوة وهكذا. وإلا لما كان من الممكن إعتباره مُبشراً بدين جديد يوحد الفرقة التي مزقت المجتمعات – على ما ذكرنا – بعبارة اخرى اننا نرى في تجربته الدينية، ذلك النوع الذي يمكن ان نطلق عليه (الخاص العام).
ونحن هنا لا نتفق والرأي القائل بأن جيمس ((لايتحدث عن (التجربة الدينية) على العموم بل هو يتحدث عن تجارب دينية عديدة لأنه يرى ان للتجربة الدينية من الصور بقدر ما هنالك من أفراد متدينين))[45].
وقد توصلنا – قبل قليل – الى بعض المشابهة بين تجربته الدينية وتجربة المتصوفة.

- وهو بالفعل قد اطلع على طرقهم، على ما ذكرنا في المقدمة، كما ان حديثه عنهم يؤكد ذلك، يقول عن وصولهم الى المراحل العليا من محاولتهم الغاء المغايرة بينهم وبين الله، ان تلك المرحلة لايتم الوصول اليها من خلال ((اختراق حجب اسرار النفس واسرار الفرد المعبود، وفي التغلب على التثنية باي فعل من افعال العقل، ولكنها إهمال هذه المحاولات))[46]. كما انه أكد لنا ان طريق المتصوفة هو من أسلم الطرق وآمنها لأنه يكون خالي من شوائب الشك والمطالبة بأدلة تجريبية أو عقلية للوصول الى الله[47].
- ونحن نعلم ان التصوف، تجربة عالمية، مثلما هي فردانية في الوقت ذاته.

**أهم مواقف وليم جيمس الدينية:-**

**- موقفه من وجود الله:-**

حتى نفهم موقف جيمس من وجود الله لابد لنا ان نتعرف أولاً على موقفه من عالم الغيب، هل آمن بوجود هذا العالم؟ يُجيبنا بنفسه أولاً، بأن مطالبنا وميولنا الدينية، تقترح علينا وجود عالم غيب، وانه حقيقة واقعة لأمراء فيها وعلينا أن نصدق ونثق بمطالبنا[48].
ثم يُعقب على كلامه بدليل استدلالي يصف لنا به مواقف (كلابنا) من عالمنا وحياتنا، فيقول، ان كلابنا، مثلاً، تساهم في حياتنا، ولكنها ليست منها.

انها تشاهد في كل لحظة جميع ما يظهر من حركاتنا وأفعالنا، ولكنا لايمكن ان تدرك مغزاها.
فلا تدرك مغزاى حادث ما. حتى لو كانت هي نفسها مسؤولة عن الجزء المهم منها. فاذا ما عض كلبنا غلاماً آذاه فان والد الغلام سيطالب بتعويض. وقد يكون الكلب حاضراً في كل مرحلة من مراحل التحقيق، ويرى الغرامة المالية تدفع، ولكنه لا يدرك شيئاً من مغزى كل هذه الحركات ولا يمكن ان يظن ان له يداً فيها.
يقول ان الكلب لو ادرك وجهة نظر الانسان لاستسلم بشجاعه كما يستسلم الرجل الديني(49).
اذن هنالك عالم آخر لكنه غير مرئي, موجود لكننا لا نراه. فعلينا ان نؤمن به.
وفي موضع آخر من كتاب ثانٍ له, يُشدد على دليله ذاته, بالقول, في هذه اللحظه التي نعيشها, تقع أحداثٌ متفرقه مختلفه الواحده عن الاخرى في كل مكان, عنه في المكان الاخر.
كأن يولد انسان في فرنسا أو يعطس رجل في استراليا الخ... وهكذا ملايين الحوادث التي باجتماعها تُسمى عالماً, ومثل هذا العالم باحداثه الكثيره لا يمكننا فهمه أو ادراكه الا اذا مزقناه تمزيقاً الى تواريخ وفنون وعلوم الخ... .
ونكتشف بين جزئياته المتعدده علاقات لم تدركها الحواس.
وكل هذه غابات ذاتيه صرفه وهي ما نسميه علماً.
ذلك الجهد الذي نبذله لنشعر بالهدوء والطمأنينه والذي اذا ما أخفقنا به فاننا لا نيأس بل نقوم بمحاولات آخرى.
يقول هذه هي الروح العلميه، وان ما تقوم به الروح الدينيه هو ليس الا ذلك ذاته(50).
أي ان جيمس آمن بالعالم الغيبي لانه مطلب ذاتي صرف.
وهذا يدفعنا الى السؤال، فهل امن بوجود الله بناءً على ذلك؟ يُجيب (عندما أقول لك بانني كتبت كتاباً حول تجربه البشر الدينيه أعتبر بوجه عام مؤيداً لحقيقة الله)(51).

أي هو استدل على ان وجود الله من خلال تجربته الدينيه, فهو عندما استهل تاملاته في الله, اتجه اتجاهاً مباشراً الى التجربه الدينيه، ليعرف من خلالها طبيعة الخالق, سالكاً في ذلك مسالك وعره تحف بها الاشواك.
عندها توصل بالفعل الى وجود الله الذي هو المنقذ في الملمات وهو الذي يفرج عنا في الازمات[52].
ثم بعد ان أطلعنا جيمس عن ايمانه بوجود الله حاول ان يعرفنا على مكان وجوده – من وجهة نظره – بالنسبة الى الانسان.
فقال (انه ليس بعيداً عنه, في السماء ولا وراء البحار, ولكنه شديد القرب منه والالتصاق به، بل أقرب اليه من حبل الوريد، انه قلبه)[53].
من تفسيرنا لقول جيمس هذا انكشف أمرين:-
اولهما: ان معرفته للاله كانت معرفه قلبيه حدسيه ذاتيه او شعوريه وعاطفيه ووجدانيه.
دون ادله عقليه او تجريبيه او منطقيه.
ثانيهما: ان مكان الله – الذي دلنا عليه جيمس – هو ذاته المكان الذي دلنا عليه كتابنا الكريم (القرآن).
بل يمكن ان نعد قوله هو التفسير العقلي لما جاء في كتابنا الكريم. هذا من جهه.
ومن جهه آخرى ليس من المستبعد ان يكون – جيمس – قد إطلع على (القرآن) خاصةً وانه إقتبس جملة (أقرب اليه من حبل الوريد) بالنص.
لكن ما الذي منع جيمس من البحث وراء ادله عقليه او تجريبيه ليُثبت بها وجود الله.
وهو الفيلسوف العلمي ذو النزعه التجريبيه المُتطرفه؟ هل لانه فصل بين آرائه المعرفيه والعلميه وبين ابحاثه الدينيه؟ ام لانه بين تهافت ونسبية مثل تلك الادله امام الادله الوجدانيه؟ ام لانه اهتدى الى تجربته الدينيه، فجعلته يكتفي بما أضافته له؟.
في الحقيقه انه كانت لجيمس عدة اسباب يمكن ان نجملها بما يلي:-
اولاً: يقول اننا الآن في القرن التاسع عشر, ولنا نظريات تطوريه وفلسفه ميكانيكيه أطلعتنا على طبيعة الطبيعه جيداً.
لذلك نرفض ان نعبد الهاً تكون هذه الطبيعه مظهراً لصفاته.

فالطبيعه المشاهده مطاطه وقابله للتشكل باشكال شتى, ونحن لا ندين بالطاعه لعالم قُلب مثل هذا[54].

أي هو رفض ان يكون العالم او الطبيعه مظهراً او دليلاً على الله او العالم غير المرئي.

ثانياً: إعتقد بان البرهنه على وجود الله لم تعد اليوم ذات معنى.

ثالثاً: وجد ان القول بوجود الله، في نفس كل انسان ولا يحتاج لأدله خارجيه. يقول (للقول بوجود الله، بقطع النظر عن الادله الخارجيه، مكان طبيعي في نفوسنا منسجم مع طبيعة عقولنا كمفكرين, ولهذا ضُمن للفكره البقاء والدوام، وكثيراً ما يكون الدوام والبقاء إماره ألحقيه والصدق)[55].

لكننا نرى انه زودنا بدليل، أقرب ما يكون الى الدليل العقلي، ليؤكد لنا من خلاله، اهمية مذهب التأليه في مقابل مذاهب الملاحده، كالمذهب الوضعي، على سبيل المثال، وما بين لنا ان – في تصور شبيه بالنزعه الوسطيه التي قال بها (كانت) – ان العقل الانساني مركب من ثلاثه (الانفعال – عمل عكسي – تجاوب) وهذه لا يمكن ان تستقل الواحده منها عن الآخرى، (فلا يوجد الانفعال الحسي إلا ليوقظ مركز الاعمال الذهنيه ولا يوجد هذا المركز إلا ليتطلب الحركه النهائيه، وهكذا فكل فعل هو رد فعل وتجاوب مع العالم الخارجي)[56].

لكن يجب الاشاره هنا، ان عملية تحول الآثار الحسيه الى عالم آخر مخالف له، هو عالم الادراك العقلي هي عمليه تخدم طبيعتنا الاختياريه والاغراض الذاتيه لكل منا، وحب آثار معينه دون آخرى ويقول بان الملاحده يؤكدون على ان العقل عليه ان لايسمح للدائره الثالثه بان تفرض مطالبها ورغباتها، فعلى العقل ان يتخذ موقفاً سلبياً ويبقى صفحه بيضاء، حتى تأتي الحقائق الخارجيه لتسجل عليه تعاريفها.

جيمس يحتقر ذلك القول لانه – باعتقاده – العقل لا يمكن ان يكون صفحه بيضاء لان ذلك يتناقض مع ماهيتهِ وجوهره.

ويرى ان اصحاب المذهب الوضعي الذين نادوا بتحرر العقول من الميول الذاتيه حتى لا تهلك، بأنهم مخدوعون لانهم إختاروا من بين ميولهم المتعدده، أبخسها نتائج، وهي مجرد عالم مادي، وضحوا بكل ما عداه من ميول[57].

واذا كان كل ما ذكرناه يدل على إيمانه بوجود الله, فعلى ايه هيئه تصوره ياتُرى؟ عرفه جيمس الجوهر بالقول (انه كائن يوجد بذاته، فهو ليس بحاجه الى ذات آخرى يلازمها، فقد تميز من البدايه من جميع الاعراض)[58].
ثم يعقب ذلك بالقول (والله، طبقاً لهذا الراى، جوهر، لانه يوجد بذاته، كما يوجد من ذاته)[59] ثم يعرفه في موضع آخر من مؤلف غيره له بقوله، انه قوه عالمه مدركه مغايره لقوانا, وكل
الاتفاق الذي بينه وبين شخصيتنا، هو ان لكل منهما قصداً فيما يفعل، وان كل منهما يسمع نداء الآخر[60]. واذا كان راى جيمس بالله – الذي بينه في مؤلفاته الشخصيه – بانه يوجد بذاته وانه يتميز عن اعراضه ولا إتفاق بيننا وبينه.
فإننا نرفض ولا نفهم الراى القائل بان اله جيمس متناه ونحن أجزاء منه[61]!!.

**موقفه من دعاة الجبرية في تفسير العالم :-**

مذهب الجبرية، هو أحد المذاهب الذي ينفي القول بحرية الإرادة، وينسب كل ما يحدث في العالم الى قوه عليا، قدرت كل شيء مُسبقاً.
وقد عالج علماء الكلام هذه المسأله، وعُرضت آراء متباينه بصددها، كان البعض معها والآخر ضدها.
جيمس، عرض لهذه المسأله وحاول معالجتها بحياديه ودون تطرف عرضاً حاول فيه ان لا يتناقض مع آرائه الدينيه، التي بيناها، ولكونه ينتمي الى المدرسه البراجماتيه – التي هي ضد المدارس العقليه والمثاليه – ذات النزعه التجريبيه، والتي ترفض القول بالمطلقات وتؤمن بالتعدديه.
فكان لا بد لنا ان نتوقع منه رفض الحديث عن الجبريه في تفسير العالم.
وبالفعل، رفض جيمس مذهب الجبريه وادعاءاتها.
وآمن بالمصادفه، لكنه في نفيه لاراء الجبريه آراد ان يبين لنا أولاً حججهم ثم يحاول بعد ذلك دحضها.
من منطلق بدل ان تهرب من عدوك واجهه.
فعلل في البدايه تمسكهم بمذهبهم بالقول لانهم يرفضون كلمة (مصادفه) لانها في اعتقادهم تعني (اللامعقوليه) وانها سلب للاطراد والقانون، وان نتائجها التدهور.

فاذا أخذنا بها، عندها ما الذي سيمنع النجوم من الاقول او من ترك مجراها الطبيعي – على سبيل المثال – كما ان المصادف يعني انه غير مرتبط بوجود سابق عليه وانه ليس له ماهيه
لا خيره ولا شره، وانه كان يمكن ان يكون غير ذلك، وبالتالي فهو بالنسبة الينا غامض ومبهم(62).
يرد جيمس ان كل ذلك غير صحيح وما تلك الاقوال إلا إدعاءات المذهب العقلي الذي يرغب في جعل العالم كتله واحده خاضعه لسلطه واحده(63).
ان رده هذا – باعتقادنا – هو الذي دفع البعض يعتقد انه ذهب بالقول بمذهب تعدد الآله(64)*.
والواقع انه – على ما نعتقد – لم يأخذ بهذا الراي، صحيح انه – والمدرسه التي ينتمي اليها – يقول بالتعدديه، إلا اننا نعتقد انه يقصد التعدديه في هذا العالم المادي لا بالالهه.
اما قوله (وما العالم في النهايه سوى منظمه إجتماعيه يسود فيها التعاون بين مساهمين مختلفين قواهم محدوده ومسؤلياتهم محدوده.
ولكن هذه المنظمه مختلفة الدرجات، اذ هناك مستويات تحت انسانيه infra humans ومستويات انسانيه ومستويات فوق انسانيه supers humans ومن تفاعل هذه كلها وحتكاكها وتعاونها وتداخلها، بل ومن جهودها المشتركه وانتصاراتها المتلاحقه يتألف هذا الكون المتعدد)(65).
نقول اما ان كان ذلك القول هو ما جعل البعض يعتقد، بقول جيمس بتعدد الالهه، ذلك انه وضع المستوى فوق الانساني ضمن ذلك التقسيم.
نرد بالقول ان تصنيفه ذلك – باعتقادنا – لا يلغي قدسية مكانته، فهو في موقعه الخاص، وأذا كانت باقي المستويات شاركته في صنع العالم، فأن تلك حقيقه لايتوجب انكارها فأذا كانت اللوحه من صنع الفنان لوحده فأن ذلك لا يلغي ان الالوان والخشب الخ... مساهمان في ظهور اللوحه على ما هي عليه، فأن لنوعيتهم وكيفيتهم الأثر في تعاونهم وطبيعته ان كان سلبياً او إيجابياً، فأن كان إيجابياً ظهرت على احسن ما يكون اما ان حدث العكس، فان اللوحه لن تظهر بالشكل الجيد على الأطلاق.
ان جيمس ينفي ان يكون هنالك حكم او تسلط مطلق في مصير العالم.
ونشدد هنا على كلمة (مطلق) حتى لا يساء فهم الأقوال.

فأنه حتى الاديان السماويه ذاتها – ومنها ديننا الحنيف – لم تدّع ذلك، فالبشر وباقي الكائنات دور فعال في العالم، فالانسان مثلاً هو خليفة الله على الارض.

وفي عودة الى موضوعة المصادفه في مقابل الجبريه، يقول جيمس، ان ايمانه بالمصادفه لايتعارض والاعتقاد في وجود الله ففي العالم تحدث مصادفات، أي امور ليس لوجودها ضروره لكنه وجود هذه المصادفات لاتتنافى مع القول بوجود اله مدبر[66].

أي انه هنا لا يقول بالجبريه ولا بالمصادفه المطلقه، بل يتخذ لنفسه مذهباً وسطاً فهو ينكر الجبريه، من جهه لا لأنه يعتقد ان عالماً تحكمه الجبريه يعني انه مصاب في تركيبه بفساد لايعالج وخلل لا يصلح[67].

كما انه ينكر من جهه اخرى القول بالمصادفه المطلقه التي توصل الى الفوضى.

ومذهبه المعتدل ذلك أطلق عليه اسم (المذهب العندي).

وفي وصفه لكيفية مذهبه ذلك يقول:- (إفترضوا ان الله كان يفكر في عالمه هذا قبل ان يخلقه فعلاً، وافترضوا انه قال، إنني ساوجه الاشياء كلها لتصل الى غايه واحده، ولكنني سوف لا أقرر الآن كل الوسائل الموصله لتلك الغايه.

وعلى هذا فستترك بعض الاحتمالات من غير ان يصدر فيها قرار ما، وكل واحده منها يمكن ان يصبح حقيقه تحت وضع خاص وفي حالات معينه.

ولكن سواء أوقعت بالفعل هذه الناحيه من ذلك الامر المتشعب ام تلك الناحيه، فاني اعلم ما الذي سافعله عند المتشعب الآخر، لأحفظ بذلك الاشياء عن ان تحيد عن طريق الغرض الذي رسمته لها)[68].

يقول (وعلى هذا فيكون كثير من التفاصيل في منهج العالم متروكاً الحكم فيه وغير متدبر، واما الاحتمالات نفسها فهي مرسومه مدبره)[69] ويقرر ان أمر تقرير مصير هذه الاحتمالات، لا يهم ان كان الخالق سيقررها أو الانسان، لان المهم عنده هو وجود هذه الاحتمالات، لانها – في نظره – (تعطي لحياتنا الخلقيه حقيقه خفاقه)[70].

تلك الحقيقه التي ألغاها أصحاب المذهب الجبري باعتقادهم ان الاشياء قد قضي فيها كلها أزلاً.

**خاتمة البحث:-**

**خلاصه وتقييم لآراء وليم جيمس الدينيه:-**

بعد ان بحثنا في آراء وليم جيمس الدينيه، إستطعنا الخروج بخلاصات أهمها:- انه، في آرائه الدينيه تخلى عن تجريبيتهِ المتطرفه، التي لا تثق بحقيقه شيء، ما لم تثبته التجربه.

وإنساق مع نزعة المدرسه التي ينتمي اليها – البراجماتيه – والتي هي نزعه وسطيه بين الجفاف المادي والسمو المثالي – على ما بينا - .

فاستبدل تجريبيته المتطرفه، بتجربه دينيه ذاتيه صرفه، منطلقاً من نظريه الحق الانساني في ان يؤمن بغض النظر من وجود أدله تؤيدها أو لا.

مُعللاً ذلك، بان الدين حاجه انسانيه نفسيه من المفروض اشباعها، حاجه لا تقل اهميه عن حاجة الانسان للعلم.

فمثلما أشبع الانسان حاجته العلميه باقتحامه للعالم الطبيعي. عليه ان يشبع حاجته الدينيه باقتحامه العالم ألغيبي ومشاركته الوجدانيه لله.

وبذلك يكون جيمس، قد اكد على رسوخ فكرة الدين في النفس الانسانيه حتى في عصر العلم. مؤكداً ان العلم لا تلغي فكرة الدين. بل تقف الى جانبها الند بالند.

هذا من جهة، ومن جهة آخرى، كان جيمس – في بيانه إن الدين حاجة نفسيه عند كل انسان – قد عمد الى (عولمة الدين).

فكما وحَّد العلم العالم، وجعله (قريه صغيره). عمد جيمس الى توحيد الاديان – متماشياً مع

صرعة عصره – وبذلك يكون قد قدم للانسانيه خدمه إخلاقيه، تتجلى بنبذ الصراعات بين الاديان والمذاهب الدينيه.

فكانت تجربته الدينيه، تجربه أخلاقيه كذلك وهي بمثابة صرخةٍ بوجه بني البشر – الذين تفرقوا دينياً – من ان دينكم واحد يتجلى برب معبود وعالم آخر كامل أفضل من عالمنا الدنيوي الناقص.

وفي رأينا ان ما يعزز القول بأن تجربتهِ الدينيه، يمكن ان تكون تجربه اخلاقيه، هو قوله بان الاخلاق لايمكن ان تنفصل عن الدين فهي بحاجه إليه حتى تكون مثاليه وتامه، بالقدسيه التي يضفيها الدين عليها.

أي انه اعتقد ان سلطة القانون او الضمير او الواجب او غير ذلك، مما اعترف به كسلطات اخلاقيه، لا يمكن لوحدها ان تخدم الاخلاق.
لانها تبقى ناقصه ونسبيه، تبعاً لصفات النقص والنسبيه التي امتاز بها مصدرها (الانسان).
فلا بد اذاً من تكملة ذلك النقص بمصدر كامل مقدس، تكون احكامه مطلقه.
اخيراً تطرقنا الى اهم مواقف جيمس الدينيه وتعرفنا الى موقفه من وجود الله ومن موقف الجبريه في النظر الى العالم.
وبينا ان موقفه من الله ساير موقفه من الدين بعامه، فكما ان الاخير حاجه فطريه بشريه في نفس كل واحد فينا.
كذلك الله في نفس كل واحد فينا. اما موقفه من المذهب الجبري، فكان موقفاً رافضاً له.
لأعتبارات بيناها وفي النهايه كان لابد لنا من ان نتساءل، هل كان جيمس فيلسوفاً متديناً؟ وهل
ساهم ايجابياً بشئ في الابحاث الدينيه؟ في جوابنا على الشق الاول من السؤال، نقول. بأعتقادنا (نعم) لقد كان كذلك على الرغم من الانتقادات الكثيره التي تعرضت لها اراؤه الدينيه، والتي اهمها اتهامه بان تدينه كان لاغراض عمليه.
ففي رأينا ان اختلاف اسباب التدين لا تنفي عن اصحابها صفة التدين.
أضافه الى اتهامه بانه يجعل من (( (الشعور) او (العاطفه) روح الدين كان الروح الدينيه هي مجرد نزعه وجدانيه فحسب ولكن من الواجب ان نلاحظ ان المعتقدات والطقوس والفرائض هي من الدين بمثابة الجسد من الروح))[71].
ويضيف الناقد (لابد اذن من تكملة الايمان الديني بطابع موضوعي، يجعل منه معرفه موضوعيه الى جانب كونه شعوراً ذاتياً وحياه شخصيه)[72].
ويمكننا الرد على ذلك الاتهام بالقول، ان الدين يبقى – باعتقادنا – اولاً واخيراً ظاهره وجدانيه فطريه مشعوره، وهي – كأي مشاعر وجدانيه – ذات طبيعه خاصه وذاتيه.
وعلى ذلك يكون هذا (الشعور) – باعتقادنا – هو اساس وجوهر الدين.

اما الطقوس والفرائض فما هي إلا تعبير موضوعي – على ما راى الناقد – أو هي إظهار ما خفي أو إنعكاس او مرآه للنور الداخلي.
ولكل مؤمن الحق في الاخذ بكيفية خاصه يعكس بها إيمانه، فاذا كنا نحن المسلمين – على سبيل المثال – نعكسه بالصلاة والصوم وطقوس وفرائض الاسلام المعروفه الاخرى.
فان جيمس ربما يعكسه، بطريقته الخاصه – بكتاباته الدينيه – مثلاً.
وليس لنا الحق ان نحاسبه على ذلك أو نحكم على ايمانه بالزياده او النقصان، فليس الحكم عندنا، ولنا ديننا وله دينه.
وباختصار كيفية عكسه لتدينه لا تنفي عنه صفه تدينه – باعتقادنا - .
اما جوابنا على الشق الثاني من السؤال فهو (نعم) أيضاً. لقد ساهم ايجابياً في مجال الابحاث الدينيه.

فحسبه انه اعطى إجابات عن بعض الاسئله التي طرحها الشكاك والملاحده – كما عرضناها في سياق بحثنا – كما انه استطاع، باسلوب خاص، ان يثبت وجود الله وان يبين انه المدبر الذي اعطى لعباده هبه حريه الاراده. ثم انه شرح لنا باسلوب منطقي اهمية الدين في حياة ألبشر.
وبالتاكيد عرض لنا تجربه دينيه، نابعه من صميم النفس الانسانيه وشارحه حاجة هذه النفس للدين.
تجربه رغب صاحبها بها في ان يوحد البشر في دين عالمي عام، لايبتعد بهم عن جوهر اديانهم، ولا يغريهم بتركها.
بل على العكس، يبين لهم صدقها وفطريتها ووحدتها.
فكيف لا يكون – بعد ذلك – مساهماً ايجابياً في حقل الدراسات الدينيه؟ انه ان لم يكن كذلك في نظر البعض, فلا بد ان يكون كذلك في نظر البعض الآخر.
لقد استطاع جيمس – وهو العالم النفساني – الكشف عن جانب فطري يمكن في نفس كل

انسان, وان وان كابر ولم يعترف بذلك – نهايةً لا بد لنا من القول اننا – اذا ما ظهرنا في سياق البحث – بجانب آراء ذلك الفيلسوف، وضد من فهمها فهماً مُغايراً أو أولها.
فان ذلك لا يعني الانحياز أو الابتعاد بالبحث عن الموضوعية العلمية، بل هو احساس يعبر عن- وجهه نظر ذاتيه – بان ذلك ما كان يقصده الفيلسوف من آرائه بالفعل.

## مصادر البحث


- إبراهيم، د. زكريا:- دراسات في الفلسفه المعاصره
- أليسوعي، الاب لويس معلوف:- المنجد، بيروت، ط19
- بوبر، كارل:- اسطورة الاطار، ترجمة د. يمنى طريف لخولي، الكويت 2003
- بوخنسكي، تاريخ الفلسفه المعاصره في اوربا، ترجمة محمد عبد الكريم، الوافي، ليبيا
- بوترو, اميل:- العلم والدين في الفلسفه المعاصره، ترجمه د. احمد فؤاد الاهواني، مصر، 1973
- جيمس، وليم:-

1) ارادة الاعتقاد، ترجمة د. محمود حب الله، مصر، 1946
2) العقل والدين، ترجمة د. محمود حب الله, بيروت
3) البراجماتيه، ترجمة د. محمد علي العريان، القاهره، 1965
4) بعض مشكلات الفلسفه، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي، مراجعة د. زكي نجيب محمود، مصر

- رسل، برتراند:- حكمة الغرب ج، ترجمة د. فؤاد زكريا، الكويت، 1983
- سبتي، محمد عوده:- البراجماتيه عند وليم جيمس، رسالة ماجستير، 2000
- عبد العزيز، د. صالح:- تطور النظريه التربويه، ط2، 1964
- عبد الهادي، علي:- البراجماتيه عند تشارلس ساندرس بيرس، رسالة ماجستير، 1997

- كرم، د. يوسف:- تاريخ الفلسفه الحديثه، مصر، 1962
- كولينز، جيمس:- الله في الفلسفه الحديثه، ترجمة فؤاد كامل 1973

## الهوامش

1) اليسوعي، الأب لويس معلوف:- المُنجد, بيروت، ط19، ص231
2) كرم، د. يوسف:- تاريخ الفلسفة ألحديثه، مصر، 1962، ص236
3) كولينز، جيمس:- الله في الفلسفة ألحديثه، ترجمة فؤاد كامل، 1973، ص28
4) كرم، د. يوسف:- تاريخ الفلسفة ألحديثه، ص339
5) جيمس، وليم:- إرادة الاعتقاد، تجربة د. محمود حب الله، مصر، 1946 ص127
6) بوخنسكي:- تاريخ الفلسفة المعاصرة في أوربا، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، ليبيا ص188
7) رسل، برتراند:- حكمة الغرب ج2، ترجمة د. فؤاد زكريا – الكويت، 1983، ص245
8) عبد الهادي، د. علي:- البراجماتيه عند تشارلس ساندرس بيرس، رسالة ماجستير 1997، ص13

9) سبتي، محمد عوده:- البراجماتيه عند وليم جيمس، رسالة ماجستير، 2000 ص102
10) المصدر نفسه، ص108
* متصوف هندي (1863 – 1902)
** أسسها الفيلسوف الأميركي تشارلس بيرس
11) كورنفورث، موريس:- البرغماتيه والفلسفه العلمية, ترجمة ابراهيم كبه، بغداد 1960 – ص80
* أبحاث ما بعد الطبيعة (كالله – العالم – النفس)
12) عبد الهادي علي:- البراجماتيه عند تشارلس ساندرس بيرس، ص29-30
13) بوبر، كارل:- إسطورة الاطار، ترجمة د. يمنى طريف الخولي، الكويت، 2003 ص205
14) عبد العزيز، د. صالح:- تطور النظرية التربوية، ط2، 1964، ص361
15) جيمس، وليم:- البراجماتيه، ترجمة د. محمد علي العريان، القاهره، 1965، ص4
16) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد، ص239- 240
17) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد، ص128
18) المصدر نفسه، ص118
19) جيمس, وليم:- ارادة الاعتقاد ، ص114
20) المصدر نفسه, ص115
21) المصدر نفسه, ص131-132
22) المصدر نفسه ص 132
23) بوترو, اميل:- العلم والدين في الفلسفة المعاصره, ترجمة د. احمد فؤاد الاهواني , مصر 1973، ص279
24) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد، ص117
25) جيمس، وليم:- البراجماتيه، ص98
26) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد، ص116
27) ابراهيم، د. زكريا:- دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص50
* من كبار رجال اللاهوت في انجلترا (1836- 1923)
28) سبتي، محمد، عوده:- البراجماتيه عند وليم جيمس، ص100
29) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد، ص105
30) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد ، ص106
31) المصدر نفسه، ص 107
32) كرم، د. يوسف:- تاريخ الفلسفة الحديثة، ص420

33) جيمس، وليم:- بعض مشكلات الفلسفة، ترجمة د. محمد فتحي الشنيطي مراجعة د. زكي نجيب محمود، مصر، مقدمة، المتجر، ص10
34) كورنفورث، موريس:- البراغماتيه:- والفلسفة العلمية، ص83
35) كرم، د. يوسف:- تاريخ الفلسفة الحديثة، ص420
36) بوترو، اميل:- العلم والدين والفلسفة المعاصره، ص245
37) ابراهيم، د. زكريا:- دراسات في الفلسفة المعاصره، ص47
38) كرم، د. يوسف:- تاريخ الفلسفة الحديثة، ص421
39) بوترو، اميل:- العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، ص243
40) ابراهيم، د. زكريا:- دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص49
41) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد، ص119
42) كرم، د. يوسف:- تاريخ الفلسفة الحديثة، ص421
43) عبد العزيز، د. صالح:- تطور النظرية التربوية، ص359
44) كرم، د. يوسف:- تاريخ الفلسفة الحديثة، ص421
45) ابراهيم، د. زكريا:- دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص46
46) جيمس، وليم:- العقل والدين، ترجمة د. محمود حب الله، بيروت، ص105
47) المصدر نفسه والصفحة نفسها
48) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد، ص132
49) المصدر نفسه، ص133-134
50) جيمس، وليم:- العقل والدين، ص90-91
51) كورنفورث، موريس:- البرغماتية والفلسفة العلمية، ص83
52) جيمس، وليم:- بعض مشكلات الفلسفة، مقدمة المترجم ص9
53) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد ص109
54) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد ص120
55) جيمس، وليم:- العقل والدين ص87
56) المصدر نفسه، ص85
57) جيمس، وليم:- العقل والدين ، ص100
58) جيمس، وليم:- بعض مشكلات الفلسفة ص105
59) المصدر نفسه ص105-106
60) جيمس، وليم:- العقل والدين ص92-93
61) كرم، د. يوسف:- تاريخ الفلسفة الحديثة ص422
62) جيمس، وليم:- العقل والدين ص120-121
63) المصدر نفسه ص124
64) بوخنسكي:- تاريخ الفلسفة المعاصرة في اوربا، ص188

* او ربما جاء هذا الراي نتيجة قوله بعدة عقول فيها شيء من العقل الشامل فهذا القول لايعبر عن قوله بتعدد الالهه كذلك.

انه باعتقادنا اراد القول انه لعقلنا قبس من العقل الشامل، ذلك انه اراد لكل فرد ان يتحمل مسؤولية اعماله.

65) ابراهيم، د. زكريا:- دراسات في الفلسفة المعاصرة ص53
66) جيمس، وليم:- ارادة الاعتقاد، مقدمة المترجم ص9
67) جيمس، وليم:- العقل والدين ص129
68) المصدر نفسه ص145-146
69) المصدر نفسه ص146
70) جيمس، وليم:- العقل والدين ص147
71) ابراهيم، د. زكريا:- دراسات في الفلسفة المعاصرة ص57
72) المصدر نفسه والصفحة نفسها